الكلية	الآداب
القسم	قسم اللغة العربية
المادة باللغة الانجليزية	Linguistics
المادة باللغة العربية	اللسانيات
المرحلة الدراسية	الماجستير - اللغة
اسم التدريسي	أ.د. علي حسين خضير الشمري
عنوان المحاضرة باللغة الانجليزية	The Paradigmatic and Syntagmatic Axes in Western Linguistics
عنوان المحاضرة باللغة العربية	الخطُّ العموديُّ والخطُّ الأفقيُّ في اللسانيّاتِ الغربيَّة
رقم المحاضرة	(السابعة)
المصادر والمراجع	1- عبد الرحمن، عبد الله". البنيوية في اللسانيات: دراسة في العلاقات التركيبية والاستبدالية ".مجلة اللغة والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، عدد 15 (2018): 45–62. 2- الزواوي، فاطمة". تحليل الخطاب من منظور سوسيري: بين المحور الأفقي والمحور العمودي ".مجلة دراسات لسانية، جامعة وهران، عدد 9 (2020): 77–90. 3- الحسن، محمد عبد الكريم". العلاقات اللسانية في النظرية البنيوية: قراءة في المحورين التركيبي والاستبدالي ".مجلة آفاق لسانية، مركز البحوث اللغوية، مجلد 5، عدد 2 (2021): 101–118.

الخطُّ العموديُّ والخطُّ الأفقيُّ في اللسانيات الغربية

مدخل تأصيلي

إنّ الدرس اللغوي العربي، منذ نشأته، قد بُني على وحدة متكاملة من الصوت والصرف والنحو والدلالة، لا يُفصل فيها جزء عن آخر، كما لا يُفصل الجسد عن أعضائه. وقد نظر إليه علماؤنا الأوائل بوصفه علمًا للنحو، ثم تطوّر عبر الأجيال حتى غدت منظومتنا اللغوية مدوّنةً في الأمالي والشروح، حاويةً للنادر والمستعمل، والمقيس والمسموع. ومع مطلع القرن العشرين، وتحديدًا في ثلاثيناته، بدأ الدرس اللساني الغربي يتسلل إلى فضاءنا المعرفي، فصار النحو يُدرس على وجهين:

- وجهٌ يستند إلى التراث العربي.
- وآخر يستند إلى النظريات الغربية الحديثة.

وقد وجدنا أنفسنا أمام خيارين: إما أن نغض الطرف عن هذا الوافد الجديد، أو أن نخوض غماره بعين الباحث المتأمل. فكان الخيار الثاني هو الأجدر، فبدأنا نطالع في مناهج البحث اللساني الغربي، حتى استوقفنا موضوعٌ بالغ الأهمية :**الخط العمودي والخط الأفقي في اللسانيات الغربية**، وهو ما سنفصّله في هذا المقام.

المفاهيم البنيوية: من دي سوسير إلى المدارس الحديثة

يرتكز التصور البنيوي للغة على فكرتين محوريتين صاغهما **فرديناند دي سوسير**:

- **الخط الأفقي (Syntagmatic Axis):** وهو سلسلة العناصر اللغوية المتتابعة في السياق الكلامي، كتركيب الجملة من فعل وفاعل ومفعول به.
- **الخط العمودي (Paradigmatic Axis):** وهو مجموعة العناصر التي يمكن أن تحل محل بعضها في نفس الموقع التركيبي، كأن يُستبدل "أنجز "بـ "أكل "أو "لعب"، دون الإخلال بالبنية.

وقد شبّه دي سوسير اللغة برقعة الشطرنج، حيث يمكن وصف كل وضعٍ فيها دون الرجوع إلى تاريخ النقلات السابقة، تمامًا كما يمكن وصف اللغة في لحظة معينة دون الحاجة إلى تتبع تطورها التاريخي.

العلاقات التركيبية والاستبدالية

تتجلى العلاقات اللغوية في مستويين:

- **العلاقات التركيبية (أفقية):** وهي علاقات التتابع بين الكلمات داخل الجملة، كقولنا : "أنجز الطالب واجبه"، حيث تتآلف الكلمات لتشكّل وحدة دلالية.
- **العلاقات الاستبدالية (عمودية):** وهي علاقات الإحلال، حيث يمكن استبدال "أنجز " بـ "أكل"، و"الطالب "بـ "العامل"، و"واجبه "بـ "التفاحة"، مما يدل على وجود خزين ذهني لدى المتكلم.

وهذان الخطّان لا ينفصلان، بل يتكاملان في تشكيل البنية اللغوية، فالأفقي يُرتّب، والعمودي يُستدعى، وكلاهما يُنتج المعنى.

البنية والدلالة: جدلية الحضور والغياب

يرى دي سوسير أن البنية اللغوية تتأسس على جدلية **الحضور والغياب**:

- **الحضور:** يتمثل في العناصر المنطوقة أو المكتوبة (الخط الأفقي).
- **الغياب:** يتمثل في العناصر المحتملة في الذاكرة (الخط العمودي).

وهذا التصور يفضي إلى أن المعنى لا يُستخلص من العنصر اللغوي منفردًا، بل من موقعه داخل النظام، ومن علاقاته بالوحدات الأخرى.

وقد ذهب دي سوسير إلى أن التركيب والدلالة لا ينفصلان، بل يشكّلان وحدة تُعرف بـ **التركيب الدلالي(Semantax)** ، حيث تتحول البنية الدلالية إلى بنية سطحية عبر قواعد تحويلية، كما يرى تشومسكي لاحقًا.

مثال تطبيقي:

في الجملة" :اقطع الحبل"، نجد أن:

- **التركيبية** تُعنى بوظيفة الفعل "اقطع "والمركب الاسمي "الحبل."
- **الدلالية** تُعنى بالوحدات الظاهرة والخفية، كضمير المخاطب الذي لم يُذكر لفظًا.

وهذا يبيّن أن المعنى لا يُستخلص من الظاهر فقط، بل من البنية الكامنة في ذهن المتكلم، وهو ما يوافق تعريف القدماء للكلام" :ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه."

الاتجاهات الفكرية اللغوية

تأثرت المدارس اللسانية الحديثة بفكر دي سوسير، فظهرت اتجاهات متعددة، أبرزها:

الاتجاه الوظيفي – مدرسة براغ

أسسها **ماثيسيوس**، وركّزت على المعنى بوصفه محورًا أساسيًا. وقسّمت اللغة إلى ثلاثة مستويات:

1. المستوى النحوي (ويشمل الصرف).
2. المستوى الدلالي.
3. المستوى الكلامي.

وترى هذه المدرسة أن التواصل يتم عبر مكونات النشاط الكلامي: السياق، المرجع، الرسالة، المرسل، المرسل إليه، الشيفرة، القناة، والاتصال.

وتُميز بين:

- **الموضوع :(Theme)** وهو المعلومة المعروفة.
- **الخبر :(Rheme)** وهو المعلومة الجديدة التي ينتظرها السامع.

ويُنظر إلى الجملة بوصفها وحدة عضوية، يمكن أن تُستبدل بكلمة واحدة تؤدي المعنى ذاته، وهو ما يُعرف بـ **التقطيع المزدوج**:

- **التقطيع الأول**: يمثل الخط الأفقي.
- **التقطيع الثاني**: يمثل الخط العمودي.

خلاصة تركيبية

إن الخطين العمودي والأفقي ليسا مجرد اتجاهين في التحليل، بل هما ركيزتان في فهم البنية اللغوية. فالأفقي يُعنى بالتركيب الظاهر، والعمودي يُعنى بالاحتمالات الذهنية، وكلاهما يتكاملان في إنتاج المعنى، وتفسير الظواهر اللغوية.

وهذا التصور البنيوي، الذي بدأ مع دي سوسير، لا يزال حاضرًا في الدراسات اللسانية المعاصرة، ويشكّل أساسًا لفهم اللغة بوصفها نظامًا رمزيًا، لا مجرد وسيلة تواصل.

التقطيع البنيوي: بين العمودي والأفقي في النظرية اللسانية الغربية

أولًا: التقطيع البنيوي الأول – العلاقة بين الدال والمدلول

يرتكز التقطيع الأول على العلاقة الجوهرية بين الصوت الملفوظ (الدال) والمضمون المعنوي (المدلول)، حيث تُعرف الوحدة اللغوية في هذا السياق باسم **المونيم**، وهي أصغر وحدة دلالية لا يمكن تفكيكها إلى وحدات أصغر ذات معنى. هذه المونيمات تُعد قابلة للاستبدال ضمن قائمة مفتوحة، مما يمنحها طابعًا ديناميكيًا داخل النظام اللغوي. وقد أعاد **هيلمسلف** صياغة مفهوم "الدال "عند دي سوسير، مستبدلًا إياه بمصطلح "التعبير"، ليؤكد أن العلاقة بين الصوت والمعنى ليست اعتباطية، بل شكلية ومنظمة. فعلى سبيل المثال، في الجملة: **"طاولتي من عاج وفضة"** تمثل كلمة "طاولة "وحدة معجمية تنتمي إلى الخزين الذهني المفتوح، أي الخط العمودي، بينما تمثل "الياء "في "طاولتي "فونيمًا ينتمي إلى قائمة مغلقة، أي الخط الأفقي، حيث لا يمكن استبداله إلا ضمن حدود ضيقة مثل:

- طاولتي
- طاولتنا
- طاولتك
- طاولتكما
- طاولتكم

وهكذا تتضح العلاقة الجدولية بين الوحدات، حيث يُنتج التفاعل بين الفونيمات مثل "قام "و"نام "نموذجًا شكليًا لا يستدعي بالضرورة استحضار المعنى، بل يُبنى على قواعد تركيبية صارمة.

ثانيًا: التقطيع السياقي – العلاقات التركيبية داخل الجملة

أما التقطيع الثاني، فيُعنى بترتيب الوحدات داخل السياق، أي العلاقات التركيبية التي تنشأ بين الكلمات في الجملة الواحدة. هذا التقطيع يُمثل الخط الأفقي عند دي سوسير، ويُعنى بما يُعرف بـ **اللفظة البسيطة**، أي الوحدة التي يمكن استبدالها ضمن السياق دون الإخلال بالتركيب العام.

وقد استبدل هيلمسلف مصطلح "المدلول "بـ "المضمون"، ليؤكد أن العلاقة اللغوية ليست مجرد دال يؤدي إلى مدلول، بل تعبير يدل على مضمون، أي أن اللغة تنقسم إلى:

المادة	الشكل
مضمون (وحدات المعنى)	التعبير (فونيم)
مضمون (تصورات ذهنية)	التعبير (أصوات)

مدرسة لندن السياقية: من الشكل إلى السياق

في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، برزت المدرسة السياقية بقيادة **جون فيرث(1890–1960)** ، التي تجاوزت حدود البنية اللغوية إلى السياق الاجتماعي والثقافي. فقد اعتبرت اللغة وسيلة اتصال لا تنفصل عن الفرد والمجتمع، وأدخلت عناصر جديدة في التحليل، منها:

1. خصائص المشاركين في الحدث اللغوي
2. طبيعة الحدث اللغوي نفسه
3. الظروف المادية المحيطة بالحدث
4. الأثر الناتج عن العبارة المنطوقة

وبذلك أضافت المدرسة السياقية إلى ما طرحه دي سوسير من "الشكل والمادة"، عنصرًا ثالثًا هو **السياق**، مما أخرج الخطين العمودي والأفقي من دائرة الشكلية إلى فضاء أوسع من التفاعل الاجتماعي والثقافي.

مثال تطبيقي: كلمة "عين" لفهم دلالة كلمة "عين"، لا بد من إدخالها في سياقات متعددة:

- **عين الطفل تؤلمه** :الباصرة
- **في الجبل عين جارية** :منبع ماء
- **هذه عين العدو** :جاسوس
- **العين الساحرة** :المنظار
- **محمد ﷺ عين قريش** :سيدهم

وهنا يصرّح فيرث بأن المعنى لا يُكشف إلا من خلال **تسييق** الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، لأن معظم الوحدات الدلالية لا تُفهم إلا بمجاورة وحدات أخرى. وقد طوّر هذا الاتجاه لاحقًا **هاليدي**، الذي نظر إلى اللغة بوصفها سلوكًا دلاليًا، وأسس ما يُعرف بـ **النحو النظامي(Systemic Grammar)** ، الذي يرى أن كل تركيب لغوي يؤدي وظيفة معينة، مع الحفاظ على الخط العمودي (اللغة) والخط السياقي (المعنى غير اللغوي).

الاتجاه التوزيعي: من الشكل إلى التوزيع

ورائدها بلومفيلد فله من الجهود ماله في الدّرس اللسانيّ ؛ إذ امتازَ بمبدأ التَّوزيع في الدِّراسة الشَّكليّة اللغويَّة ؛ ولا سيما في (الفونيم)، و (المورفيم) بأن تتكوّن من:

(الفونيم + الفونيم + الفونيم)= (المورفيم) .

و (المورفيم + المورفيم + المورفيم) = (جملة) .

و (جملة + جملة + جملة) = (النَّصّ) الذي تمتلكه العيِّنة في المختبر اللغويّ.

((وقد اشتهر بنظريّته النَّحويَّة الموسومة بـ: نظريّة المكوّنات المباشرة Theory immediate coustituentوتختصر بـ: (I.U) فمهمة النَّحوي في نظره لاتتعدّى تحليل الجملة الى المركبات النَّحويَّة المباشرة وبعدها تحليل هذه المركبات الى مكوّنات نحويَّة.... وهكذا... الى أنْ يصل التَّحليل بنا وضعا تغدو فيه عملية التَّحليل مستحيلة...وتطرّق هاريس أيضًا الى ما يعرف بِرُكني الجملة، وهما: الرّكن الخطيّ أو المجاورة والرّكن الاستبداليّ ((العموديّ وهو يعني به ما يكون في ذاكرة المتكلّم والسّامع من اختيارات وبدائل يمكن ذكرها بدلًا من هذه الوحدات أو تلك)) وهو يُقرّبنا ممّا ذكره سوسير عن العلاقات التّركيبية بضمنها علاقة الحضور والغياب .

إلّا أنَّ هاريس يرى: ((أنَّ أيَّ تغيّر في الجملة باستبدال وحدة بأخرى يتطلّب أن يقوم المتكلّم بمراجعة العناصر المجاورة؛ فربّما اضطر الى تغيّر أحد هذه العناصر لتناسب الاختيار الجديد، أي: أنَّ كلَّ تغيّر في ركن المجاورة يتبعه تغيّر في الرّكن الآخر والعكس كذلك)) . وقد طوّر طرائق تحليل المكوّنات المباشرة الى المكوّنات النِّهائيَّة ؛ فجعلها ثلاث طرائق، هي:

الطّريقة الأولى: طريقة الأقواس: وتُسمّى بـ: ((التّقويس parenth etisation وتقوم هذه الطّريقة بوضع أقواس متداخلة لتميّز المقاطع الداخلة في التَّركيب)) .

الطّريقة الثّانية: علبة هوكت وتعمل بنفس طريقة الأقواس والتَّشجير وتكون داخل علبة بشكل مربعات بسيطة، أو شكل مستطيل مقسّم فيه المكوّنات المباشرة وينتهي بالمكوّنات النّهائية.

الطّريقة الثّالثة: التَّمثيل بالشّجرة ويعرف بالتَّشجير :(Arbrrc)وهي أكثر الطّرائق شيوعًا، وقبولا لدى الدّارسين المحدثين؛ ولا سيما أصحاب المدرسة التوليدية"

ويمثّل أعلى الشّجرة المكوّن الرئيسي وأسفله هو المكوّن المباشر، والأسفل منه المكوّن النّهائيّ ولو استعرضنا هذه الطّرائق بالمثال: (الطّالبُ يكتبُ الدَّرس)، فعند تحليلها على:

الطّريقة الأولى التقويس:

(1، 2) = الجملة كلها.

(3، 4) = (الطّالب)، وهو مكوّن مباشر.

(5، 6) = (يكتب الدّرس)، وهو مكوّن مباشر.

(7، 8) = (ال)، وهو مكوّن نهائيّ.

(9، 10) = (طالب)، وهو مكوّن نهائي.

(11، 12) = (يكتب) وهو مكوّن نهائيّ.

(13، 14) = (الدّرس)، وهو مكوّن مباشر.

(15‘ 16) = (ال)، وهو مكوّن نهائيّ.

(17، 18) = (درس)، وهو مكوّن نهائيّ.

فالمكوّن المباشر يمكن تحليله الى مكوّنات أخرى، حتّى المكوّن النهائيّ الذي لا يُحلل الى مكوّن آخر فهو نهاية التّحليل.

<table>
<tr><td colspan="4">الطّالب يكتب الدرس</td></tr>
<tr><td>الطّالب / مكوّن مباشر</td><td colspan="3">يكتب الدّرس / مكوّن مباشر</td></tr>
<tr><td>ال/ مكوّن نهائيّ</td><td>طالب / مكوّن نهائيّ</td><td>يكتب/ مكوّن نهائيّ</td><td>الدّرس/ مكوّن مباشر</td></tr>
<tr><td></td><td colspan="2">ال/ مكوّن نهائيّ</td><td>درس مكوّن نهائيّ</td></tr>
</table>

3- الطّريقة الثّانية: التّشجير: (الطّالب يكتب الدّرس)

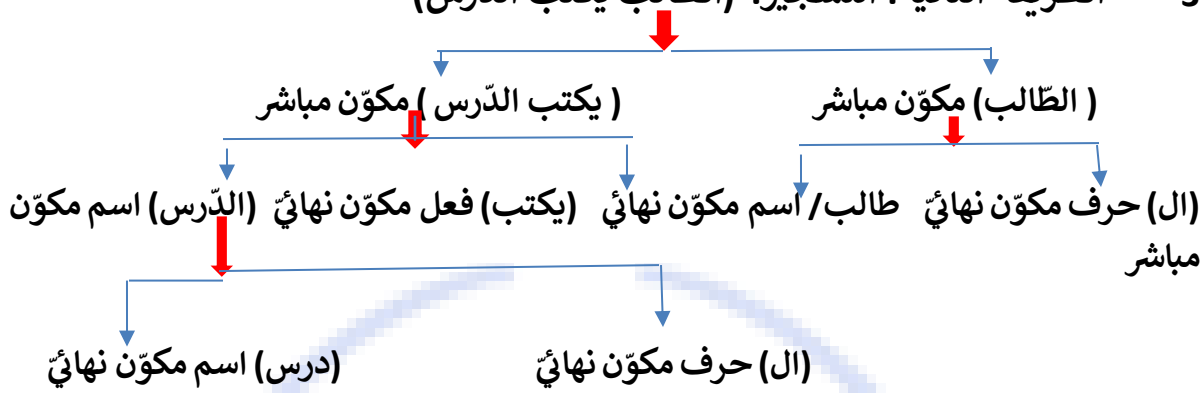

نجد أنّ هذا التّحليل يبدأ من المستوى الصّوتي ثم يتعدّاها مرحليًا الى سائر المستويات اللسانيّة الأخرى، ويقوم منهج التّحليل الصّوتي على دراسة العمليّة النّطقيّة في الحدث الكلاميّ؛ مما يقتضي تفتيت الحدث الكلاميّ، وتحليله الى العناصر المكوّنة له. بعد هذه الخطوات في كشف الخط العمودي والخط الأفقي اتضح لنا :

-أن دي سوسير أول من أشار إلى الخط العمودي والخط الأفقي .

-أن الخطين قد اعتمدتهما أغلب المدارس اللسانية الحديثة .

-لا يمكن الفصل بين الخطين فهما متلازمان .

-لهما مصطلحات مختلفة بحسب المعنى والوظيفة الذي تنظر إليه المدرسة اللغوية .

-لا يمكن فصلهما عن الدلالة.

ملخص وظيفي

الخط العمودي	الخط الأفقي
خزين ذهني للاستبدال	ترتيب الكلمات في السياق
يمثل العلاقات الاستبدالية	يمثل العلاقات التركيبية
يُنتج البدائل الممكنة	يُنتج الجملة
يُعنى بالاختيار	يُعنى بالاتصال